

## الإستلاء

يَدْعُو إِلَى الْعِلْمِ وَاسْتِخْدَامِ الْعَقْلِ وَالْحَوَاسِ

إعداد : محمد عباس أحمد

. دراسات في تعليم الكبار .

مركز تدريب قيادات تعليم الكبار  
لدول الخليج  
ص . ب ٢٢٢٤٨ - المحرق - البحرين  
برقيا : عربتام - البحرين  
تلکس : 9094 TARBIA, B/N  
تليفون : ٢٢٠٧٦٢  
٢٢٠٢٧٤ - ١٠ خطوط



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم  
مركز تدريب قيادات تعليم الكبار  
لدول الخليج بالبحرين

الاسلام

يدعو الى العلم واستخدام العقل والحواس

إعداد

محمد عباس أحمد

هذه الدراسة تمثل رأي كاتبها ولا تمثل بالضرورة  
رأي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم  
ومركز تدريب قيادات تعليم الكبار لدول الخليج بالبحرين

مكتبة  
المهتدين

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« السر كتاب احكمت آياته ثم فصلت ، من لدن حكيم خبير »  
« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم  
الآخر ، وذكر الله كثيرا » .

« صدق الله العظيم »

أتوجه بالشكر الى فضيلة الشيخ عبد اللطيف محمود المحمود  
لتفضله بمراجعة هذه الدراسة .



لعله من الاسباب التي تحول دون نجاح جهود تعليم الكبار في العالم العربي كما يرجى منها ، هو أن الاهتمام بعلم تعليم الكبار لا يأخذ ما يستحقه من العناية والتقدير ، ولا يتناسب مع طبيعة المشكلة . وقد يكون مرجع ذلك الى أن هذا العلم حديث النشوء . وان معظم التجارب والدراسات والبحوث التي أجريت فيه اجنبية . وفي ذلك ما فيه من سلبيات ، تظهر عند تطبيق نتائجها على المجتمع العربي ، الذي يختلف بعاداته وتقاليده وقيمه عن تلك المجتمعات .

كذلك فان أساليب تعليم الكبار في بلادنا ، مازالت متأثرة بأساليب تعليم الصغار ، علما بأن الخصائص النفسية والجسدية والاجتماعية لكل منهما ، تميز الكبار عن الصغار ، وان ذلك لابد أن ينعكس أثره على خطط ومناهج وكتب واعداد المعلمين واختيار طرق التدريس واعداد المكان والزمان المناسبين للكبار . لهذا عمدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ممثلة بمركزها لتدريب قيادات تعليم الكبار لدول الخليج بدولة البحرين الى طباعة سلسلة من البحوث والدراسات المتخصصة بتعليم الكبار أعدها ونفذها خبراء المركز يساعدهم في ذلك أساتذة جامعيون يعملون بدول المنطقة .

ويأمل المركز من السادة الخبراء المهتمين بتعليم الكبار ولديهم بحوث ودراسات تسهم في دفع نشاط المركز نحو الأفضل والأكمل أن يرسلوها له ليقوم بنشرها وتوزيعها تعميما للنفع والفائدة . وقد خصص المركز دراسته هذه لتوضيح أن اهتمام الاسلام بالعلم لم ينبع من فراغ أو مجازاة لمؤثرات حضارية فرضت نفسها على المجتمع الاسلامي ، وإنما نبع من طبيعة الاسلام ذاتها ونظرتة الى الفرد والمجتمع .

مقدمة :

لقد اشتمل القرآن الكريم على جليل الدعوات لاستنهاض همم المسلمين وحثهم على تحصيل العلم بالتفكير الجاد في حسن تنسيق الكون وفي الدنيا ونواحيها ، واحوال الانسان والطبيعة وما تجلى من قدرة الله في خلق السموات والأرض والشمس والقمر والانهار والجبال والرواسي .. ويؤكد القرآن الكريم أن هذا الادراك لا يتم الا عن طريق العلم ومعرفة الحقائق ، فنؤمن بالله ايماننا راسخاً يستقر على فهم واستيعاب تلك الحقائق مما يزيد ايماننا عمقا .. وقوة .. و يقينا .

فالعلم في الاسلام هو طريق الله لأنه طريق الارتقاء بالانسان من حيث هو انسان بحيث يستحق ذلك التكريم الذى كرمه به ربه يوم استخلفه في الأرض وقد تميز الانسان على باقي الكائنات الأخرى بعلو مقداره وشأنه عند الله لأنه حامل أمانته في الأرض وله عقل يتعلم به الكثير من الأمور ويكشف الغوامض التي يريد له الخالق اكتشافها .

وينقسم العلم في الاسلام من حيث وجوبه وفرضه الى نوعين<sup>(١)</sup>

١ - ما هو فرض عين : أي ما يطلب تعلمه وجوباً

من كل فرد مكلف ولا يعذر احد في الجهل به وهو ما يحتاج اليه الانسان في اقامة دينه وقبول عمله عند الله واستقامة معاملته ومعاشرته للناس .

٢ - ما هو فرض كفاية : وهو كل ما يحتاج المجتمع اليه

من غير نظر الى شخص بذاته ، كتعلم الصناعات التي يحتاج اليها الناس وتعلم المهن من تجارة وطب واقتصاد وهندسة وكل ما يجد في المستقبل من الحاجة الى علوم أخرى .

ومن وسائل التعلم المعروفة في الاسلام الرحلة في طلب العلم من اساتذته المشهورين وكانت قيمة الطالب آنذاك تقدر بما قام به من رحلات وبما قام به من لقاء الشيوخ والعلماء (٢)

ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان مفطورا على حب المعرفة وطلب العلم حيث بدأ بالسؤال عن كل شيء يراه ويحس به وجعله يطلب الكشف عنه ، وقد بدأ يفعل هذا بأبسط الأشياء وارتقى الى ما هو عليه اليوم وكل ذلك برعاية الله وهدايته ، وعلم ادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين .

والانسان الفرد في الاسلام هو سيد مخلوقات ربه الكثيرة بحكم ذلك الاستخلاف الذي كرمه به يوم خلقه ، واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال اني اعلم ما لا تعلمون . غير انه لا يستحق هذا الاستخلاف الا بقدر ما يلتزم بالطريق الذي رسمه له ربه في حياته وهو الذي يجعله يتصرف تصرفا يليق بانسانيته أي بتلك المنزلة التي وضعه الله فيها بين سائر خلقه ، وبذلك الاستخلاف الذي شرفه الله به ، والانسان لا يعرف هذا الطريق الا اذا سار في طريق العلم الذي يؤدي الى التربية الخلقية وينمي العقل الانساني والذي لا يذكره القرآن الكريم الا في مقام التعظيم وجوب العمل به والرجوع اليه (٣) واصول التربية الاسلامية تبين ان العلم لا يكفي ولا ينفع بدون الاخلاق ولذلك فان الخطوة الاولى للتعليم والثقافة هي التربية التي تهدف الى تكوين شخصية الفرد واما التعليم فيستهدف تكوين شخصية الأمة .

ولابد ان يقوم اساس التربية والتعليم على الايمان بالله والنبوة والقران منزلا من عند الله ودستورا للحياة والمجتمع ومنهاجا كاملا للميتافزيقيا وللغيب ولعالم الشهادة . وان يكون القران الكريم اساس جميع العلوم ومصدرها .

والى جانب الحث على تحصيل العلم والتفكير والنظر في ملكوت السموات والارض اشار الاسلام الى أهمية العمل ومضاعفة الانتاج وذلك في قوله تعالى ، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه

النشور ....» وقوله عز وجل « قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .  
ويستشف الدارس المتعمق من خلال النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة أن معنى كلمة « العلم » هو المعرفة بالأشياء وبالأمور المادية وغير المادية حتى تشمل الأمور الغيبية ... وان كلمة « الأمي » <sup>(4)</sup> تعني غير الكتابي ( أي كل من ليس لديه كتاب سماوي ) ويشير الله سبحانه وتعالى في سورة الجمعة إلى أنه أرسل رسوله ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم للأميين من قومه وللأميين من أقوام أخرى ستمتد اليهم الدعوة « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » وقال عز من قال في سورة آل عمران : « وقل للذين أتوا الكتاب والاميين » ومن الماثورات عن كعب الاحبار أن معاوية سألها قائلاً : انت كتابي يا كعب الاحبار - أي جاعك التوراة عن طريق سيدنا موسى عليه السلام - وانا أمي ، فما رأيك فيما أتى به محمد ؟

هكذا نجد ان اهتمام الاسلام بالتعليم لم ينبع من فراغ أو مجازاة لمؤثرات حضارية فرضت نفسها على المجتمع الاسلامي ، ولا مجرد تقليد لهذا المجتمع أو ذاك ، وانما نبع من طبيعة الاسلام ذاتها ونظرتة إلى الفرد والمجتمع ، وبعبارة أخرى نبع من العقيدة الاسلامية كما هي في كتاب الله الكريم والحديث الشريف وكما تمثلت واقعا حيا في السنة النبوية الشريفة وفي التاريخ الاسلامي في عصور ازدهاره .  
القرآن يدعو الى العلم :

جاءت رسالة الاسلام في القرن السابع الميلادي ، ونزل القرآن في ليلة مباركة من شهر رمضان في مكة ثم المدينة ( يثرب ) ونزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى دين جديد ، يعتبر ثورة عارمة ضد الجهل ويحث أبناءه على القراءة والتعليم . وقد بدأت الثورة مع اول الآيات التي تنزل بها الوحي على قلب النبي صلوات الله عليه وسلامه « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ



وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم . ولم يكن عجباً ان تكون هذه الآية امراً صريحاً للنبي ان يقرأ .. وان تدعوه الى التعلم بالقلم وهو في بيئته لم تكن تكتب او تتعلم بالكتابة ، وان اول آية ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم « والقلم وما يسطرون ... » انه الاسلام دين العلم والسلام استهلت دعوته بفعل الأمر « اقرأ » فكان شعارها ومنطلقها في طريق الحضارة والمدنية حث على النظر فيما يتعلم منه الانسان في آيات كثيرة منها « قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وقد تكرر لفظ العلم ومشتقاته في القرآن الكريم ٧٦٥ مرة ويبلغ عدد الآيات العلمية ٧٥٠ آية تشمل مختلف العلوم ونجد ان في كل علم جاء القرآن بأكثر من آية (٥) . وقد ذكر العقل باسمه وأفعاله زهاء خمسين مرة وجاء فيه ذكر ( اولى الالباب ) أي العقول بضعة عشرة مرة وذكر فيه ( اولى النهى ) أي العقول في آخر سورة طه (٦) .

وإذا كانت الديانات السماوية السابقة قد جاءت لتهدى مجتمعاتها .. هكذا كانت المسيحية واليهودية .. فقد تميز الاسلام عنها بأنه جاء مشرعاً وداعياً في نفس الوقت للعلم والحياة الأفضل ، هناك ٧٥٠ آية في القرآن الكريم حضت على العلم ودعت اليه مقابل ٢٥٠ آية تشريعية فقط (٧) . ومن يتبع آيات العلم والعلماء يجدها كثيرة ويظهر له ان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كانا المصدر الأساسى للعلم الاسلامي وأن العلم في الاسلام هدف له قيمته ويعني التأكد والثقة واليقين وهي أمور لا يحصل عليها الفرد الا اذا مر بمرحلة الشك ودفعه ذلك الشك الى أعمال الفكر والنظر والتأمل والبحث الجاد قطعاً للشك ووصولاً الى اليقين (٨) . قال تبارك وتعالى في سورة ابراهيم « ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء . » . وأما حقيقة العلم عند الاسلام فهي ان يكون العلم مقروناً بالايمان او موصلاً اليه ومؤكداً له كما في قوله تعالى في سورة المجادلة « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وفي سورة الروم « وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث » ، وفي سورة آل عمران « شهد الله انه

لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ، ، وفي السورة نفسها  
« والراسخون في العلم يقولون أئنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا  
أولوا الالباب » .

فالعلم والايمان هما أساس الحضارة الاسلامية بمعنى أن العلم  
لا يكون كاملاً الا اذا كان صالحاً للدنيا والآخرة على أساس من الايمان  
باليوم الآخر ، قال الله سبحانه وتعالى في سورة الروم ، يعلمون ظاهراً  
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » . والعلم الذى ترقى به  
الحضارة هو العلم بأوسع معانيه لا فرق بين علم دينى وعلم دنيوى  
ما دمنا نصل بهذا العلم الى الحقيقة ففي كل يوم يكشف لنا العلم  
الحديث جديداً كان القرآن الكريم قد قرره يوم نزوله قبل أربعة عشر  
قرناً من الزمان وما تزال العلوم تعمق أغوارها ولا تزال تظهر لنا  
معجزات القرآن الكريم الذى « لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من  
وجهة نظر العلم في العصر الحديث ، فالقرآن الكريم يحتوى على تأملات  
عديدة خاصة بالظواهر الطبيعية وبتفاصيل توضيحية تتفق تماماً مع  
معطيات العلم الحديث » . (٩) مما يدل على أن الاسلام دين علم وكتاب  
الكريم ذكر من هذه العلوم الكثيرة يوم كان العقل الانسانى لا يدرك ما  
تحت قدميه ، فما يتقدم العلم من خطوة الا وأضاف القرآن الكريم  
برهاناً جديداً يؤكد أن القرآن « لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين  
يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

ونجد ان العلم يؤيد القرآن فيما ذهب اليه وتوصل اليه قبل  
العلم بمئات السنين وأن الاسلام بعقيدته السمحة وتعاليمه الخيرة  
أيد ما أكتشف العلم وان كانت هناك معارضة فليست المعارضة  
من العلم ولكن التجربة خاطئة وسيكشف الخطأ  
حيث تصح التجربة . قال الله سبحانه وتعالى « سنريهم آياتنا في  
الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » فان وضوح هذه الأمور  
في كل عصر تكشف لنا معجزات كتاب الله الكريم يقول الشيخ محمد  
عبده أن معجزة القرآن جامعة من القول والعلم ، وكل منهما مما  
يتناوله العقل بالفهم فهى معجزة عرضت على العقل وعرفت للقاضي

فيها ، واطلقت له حق النظر في احنائها ونشرها انطوى في اثنائها ، وله منه حظه الذي لا ينقص (١٠) وليس أدل على تشريف القرآن الكريم للعلم من انه جعله من عطاء الله الذي يدعو الانسان لنفسه به في الآية الكريمة :

« وقل رب زدنى علما »  
القرآن يدعو الى استخدام العقل والحواس :

وقد دعا القرآن الكريم العقل البشرى الى التفكير والتدبر في خلق الكون والوصول - ما استطاع - الى شواطئ المعرفة ورواسي العلم . قال تبارك وتعالى في سورة الروم « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم واللوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين . وقال سبحانه وتعالى في سورة آل عمران « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار » .

ويتساءل القرآن الكريم : أفلا يتدبرون ؟ أفلا يعقلون ؟ أفلا يتفكرون ؟ اليس منكم رجل رشيد .... ؟

العقل في الاسلام هو مصدر الوعي ومصدر الحياة ومصدر الفكر وجعل التفكير درجة من درجات العبادة فالدين الاسلامي دين عقل . وجعل الله سبحانه وتعالى العقل سبيلا الى التفكير والتدبير في المحسوسات فيتدرج منها الى المعقولات ، ولم يجعل الله العقل سبيلا الى ادراك المغيبات من وراء الموت بل جعل الوحي سبيلا الى ذلك (١١) . ففي سورة آل عمران آيتان الاولى تتحدث عن عصمة الفكر من البحث فيما وراء المادة ، لأن هذا النوع من البحوث تقوم على التخمين والتوهم . والثانية تطلق العنان للعقل كي يبحث ويستنتج في المادة وأسوارها وقوانينها وقيام الله عليها وأحكامه لوجودها (١٢) . قال الله سبحانه وتعالى في الموضوع الاول من السورة « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب » .

أما الحث على التأمل في الكون فهو في الموضوع الثاني من السورة ، قال تعالى : « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك . » .

ويخاطب القرآن الكريم العقل والقلب جميعاً ويدفع بهما الى التأمل في كل ما خلق الله ، فالعقل الراجح والقلب المتفتح اذا أمن النظر في آيات الله كان أقرب الى الايمان وأدنى الى التقوى ، قال الله عز وجل في سورة فاطر « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون . » .

ومن التوافق القرآني العلمي يمكننا أن نلاحظ عدداً من الظواهر فخلق السموات والأرض ظاهرة كونية وردت في سورة الأنبياء « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون . » .

ويقرر القرآن الكريم أن التجربة العلمية والعملية هي خير وسائل الاقناع فهو بذلك أول كتاب في العلم أو الدين عرف في تاريخ البشرية أورد التجارب العملية كما يقوم العلم التجريبي في العصر الحديث . فعندما أوحى الله سبحانه وتعالى لسيدنا ابراهيم عليه السلام بحقيقة الحياة بعد الموت دعاه أن يريه كيف يحيى جل شأنه الموتى ، فطلب منه ربه أن يجري تجربة عملية بنفسه ليتأكد بها ويقنع بمشاهدتها وفي ذلك تقول الآيات الشريفة : « واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى . قال أولم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا ، واعلم ان الله عزيز حكيم . » .

ان امتلاك المعارف العلمية المتنوعة هي عملية لازمة لفهم الآيات القرآنية وخاصة تلك الآيات التي اعتبرها علماء التفسير بأنها آيات مستقبلية في تناولها لظواهر ومسائل كونية وحياتية . وهناك أمور هامة في موقف الاسلام من العلم تبين لنا طبيعة المناخ الذي هبأه الاسلام لظهور المنهج العلمي السليم منها (١٢)

– اشارة القرآن الكريم الى استخدام « التخطيط » في السياسة الاقتصادية والتمويلية للدولة كما هو واضح من الخطة الخمس عشرية في قصة يوسف الصديق عليه السلام في القرآن الكريم ، وكيف كانت هذه الخطة الحكيمة سببا في انقاذ مصر وما حولها من الاقطار من مجاعة مهلكة .

– استخدام النبي صلى الله عليه وسلم لأسلوب « الاحصاء » منذ عهد مبكر من حياة المسلمين في المدينة فقد روى البخارى انه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة الى المدينة أمر بعض أصحابه ان يحصوا له عدد الذين يلفظون الاسلام فأحصوهم ، فكان عددهم خمسمائة والفا .

– اقراره عليه الصلاة والسلام لمبدأ « التجربة » في الأمور الدنيوية والاخذ بنتائجها وان كانت مخالفة لرأيه كما وقع ذلك في حادثة تأبير النخل وقوله لهم في ذلك « أنتم أعلم بأمر دنياكم » .

– تشجيع الاقتباس وأخذ النافع من الغير في الأمور « التقنية » والدنيوية التي لا تتعلق بالعقائد والقيم والآداب والشرائع ونحوها مما تميز به المجتمعات « الايديولوجية » بعضها عن بعض ولهذا أخذ الرسول برأى سلمان الفارسي في حفر الخندق حول المدينة مع انه من أساليب الفرس ، وقد علم المسلمين ان « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها » .

– أشاد القرآن الكريم بقيمة الصناعة ودورها في الحياة حتى أن رسل الله والمصطفين الأخيار من عباده أصحاب حرف وصناعات أتقنوها وتفوقوا فيها ، فنوح شيخ المرسلين يصنع السفن ، وابراهيم ابوالانبياء وابنه اسماعيل بناء ان يرفعان القواعد من البيت ( الكعبة ) ، وداود يصنع الدروع ويلين الحديد ، وسليمان يسيل له الله عين القطر ويسخر له الجن يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل ، وذو القرنين يقيم السد العظيم من الحديد والنحاس المذاب .

وهكذا يقرر الاسلام منذ اللحظة الاولى انه دين علم وجعل العلم قيمة أساسية في أصل العقيدة من حيث شرف المعرفة وفضائها.

السلوك (١١) . وحث الاسلام المسلمين على طلب العلم والبحث والتفكير في كل ميدان من ميادين المعرفة وفي كل مجال من مجالات الحياة . لأن العلم أساس النهضة وعماد الحضارات ووسيلة التقدم للأفراد والجماعات ، وقد بدأت النهضة الحديثة تعود الى الاصول الاسلامية الأساسية . فديننا دين العلم والثقافة والداعي الى الحكمة والاستنارة بها وكتابه الحكيم ذخيرة من الهداية والمعرفة ، والاسلام رسالة عالمية تضمنها القرآن .

### الرسول يدعو بدعوة القرآن الى العلم :

كان الرسول الكريم أول من استجاب لداعي القرآن فحياته هي تفسير لكتاب الله ، وسيرته العملية وسنته القولية بيان تطبيقي للقرآن الكريم قال تبارك وتعالى : « فاتقوا الله يا أولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا ، رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور » . والحق الأقرآن بلا سنة ولا سنة بلا قرآن وان فصل أحدهما عن الآخر زيغ (١٢) .

وقد اهتم صلى الله عليه وسلم بنشر الدعوة الاسلامية بشقيها الدين والعلم وكانت هذه الدعوة تتصف بالديمقراطية والشورى ففي حديث شريف للنبي صلى الله عليه وسلم : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم » .

فقد دخل الاسلام قريشاً وفيها سبعة عشر رجلاً يكتبون \* ... وقليل من نسائهم كن يكتبين \*\* وجمع النبي صلى الله عليه وسلم من يجيدون الكتابة لتسجيل ما ينزل من آيات القرآن الكريم وكان أول من كتب له في المدينة ابي بن كعب الانصارى وزيد بن ثابت الانصارى وفي قريش عبدالله بن سعد وعثمان بن عفان وشرحبيط بن حسنة

\* عمرو بن عثمان وابو عبيدة وطلحة ويزيد بن ابي سفيان وابو سفيان بن حرب ومعاوية بن ابي سفيان وابو حذيفة ابن عتبة وحاطب ابن عمرو ابو سلمة بن عبد الاسد المحزومي واما بن سعيد بن العاص وخالد بن سعيد ( أخوه ) وعبدالله بن عزي العامري وجيه بن الصلت ومر خلفاء قريش العلاء بن الحضرمي .

\*\* كحفصة وام كلثوم من أمهات المسلمين وعائشة بنت سعد وكريمة بنت الغدار والشفاء العدوية

وأبان بن سعيد وخالد بن سعيد (١٦) ودعا المسلمين الى تعلم الكتابة والقراءة ليكتبوا القرآن ويتعلموه وينشروه حتى انه في غزوة بدر جعل فداء بعض الاسرى الذين يكتبون أن يعلموا صبيان المدينة كل أسير بعشرة ، وحث الرسول الكريم بعض أصحابه أن يتعلموا لغات غير اللغة العربية فعن زيد بن ثابت قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « انى اكتب الى قوم فأخاف أن يزدوا علي أو ينقصوا » فتعلم السريانية فتعلمها في سبعة عشر يوما ، وأخذ يدعو الصحابة الى العلم ويقول عبدالرحمن السلمى : « حدثنا الذين يقرأون القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل (١٧) . وقال المرحوم أحمد أمين في كتابه ( فجر الاسلام ) واشتهر من الصحابة ستة أو سبعة ، عدوا الطبقة الأولى في العلم يختلف العادون في بعضهم فيضعون واحدا مكان الآخر وهم عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وعائشة .

وأما الطبقة الثانية في العلم فقليل أنهم عشرون والطبقة الثالثة نحو مائة وعشرين . هؤلاء العلماء وأمثالهم من الصحابة ورجال الاسلام الأول وزعمهم النبي عليه الصلاة والسلام في جميع أنحاء بلاد الاسلام قصدا الى تعليم أهالى البلاد ولم يقتصر علم الطبقة الأولى من علماء الصحابة على التفقه في الدين أو الحديث بل كانوا أصحاب علوم مختلفة .

فالدعوة الاسلامية التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا لقومه خاصة وللناس عامة احتلت مكانتها في قلوب الناس . انها دعوة منطقها كريم ومبعثها رحيم هي تدعو الى الايمان بالله وتحض على الخير وتنهى عن الشر وتكرم الانسان وتدفعه الى التماس العلم من المهد الى اللحد وأينما وجد والى تحصيل المعرفة انى عثر عليها ومهما كانت بعيدة بعد الصين عن المدينة بمقاييس ذلك الزمان .. قال صلى الله عليه وسلم : « لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعود من العقل ولا وحدة أوحش من العجب ولا استظهار أوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ولا ورع كالكف ولا عبادة كال تفكير ولا ايمان كالحياء والصبر » .

والعلم الذى يدعو اليه الاسلام هو الذى يقاس على سلوك الفرد أى أن الشخص في ضوء معرفته ينبغي ان يكون لنفسه من المبادئ والقيم ما يلتزم به في سلوكه ، وان يصل الى مستوى الفهم والاقتناع ، وحينئذ يمكننا ان نتوقع منه الالتزام بالسلوك المطابق للمعرفة وهذا امر يمكننا ادراكه من قول الرسول الكريم : « تعلموا ما شئتم ان تعلموا ، فلن يأجركم الله حتى تعلموا . » وقوله : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه . » وان هذا الاتقان يمكن تحصيله والنمو فيه عن طريق المعرفة المتزايدة .

فالعلم والتعليم مبدأ اسلامي متعارف عليه بالنسبة للرجال والنساء وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « رحم الله نساء الانصار لم يمنعهن الحياء عن ان يسألن عن امر دينهن . »  
**حقيقة العلماء عند الاسلام :**

العلماء عقل الامة ووجدان الحضارة وروحها وورثة الانبياء قال فيهم الحق جل وعلا : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . هم دائما صدر الامة وصفوفها الاولى ، يوجهونها الى قمة الرقى ويدفعونها الى المقدمة بين الأمم الأخرى .

وان المقصود بالعلماء عند الاسلام هم العلماء المؤمنون العاملون الصالحون وخيرهم الذين يتلون كتاب الله ويعملون بما جاء فيه لانه اشتمل على كل ما يصلح الفرد والمجتمع في معاشه ومعاده .  
والعالم الحق هو الذى ينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف من خلال علمه الذى تعلمه ومن خلال منهجه الذى آمن به فان كلمة الحق المستندة على العلم واليقين هي خير الجهاد عند الله . وهو الذى يجارى سنن الكون ويتطلع الى المستقبل ويضيف علما جديدا كل يوم الى علمه كلما استطاع الى ذلك سبيلا كما قال عليه الصلاة والسلام « اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربنى الى الله عز وجل ، فلا بورك لى في طلوع شمس ذلك اليوم » .

ذلك انه كلما ازداد المرء علما ازداد قربا الى الله وخشية له والقرآن يسجل ذلك في قوله تعالى في سورة قاطر : « انما يخشى الله من عباده العلماء » . فالعلماء أكثر الناس فهما لآلاء الله ، ووعيا لآياته وتمثلا لبديع قدرته وهم أقرب الناس الى خشيته واحساسا بعظمته .



والعالم الحق ايضا من يفضل العلم على المال كما فضله سليمان عليه السلام فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال : « خير سليمان عليه السلام بين العلم والملك والمال فاختر العلم فأعطاه الله الملك والمال تبعا وتدرج ذلك من قوله تعالى في سورة النمل : « ولقد آتينا سليمان وداود علما وقالوا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » .

وقد بين القرآن الكريم مكانة العلماء المؤمنين بأنها تالية لدرجة الملائكة في الرفعة والعظمة وذلك في سورة آل عمران : « شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » . وبلغ من اعزاز شأن العلماء في الاسلام ان قرب مكانتهم من مكانة الأنبياء والشهداء والصديقين فقد جاء في الحديث الشريف : « خيار امتى علماءها وخيار علمائها فقهاؤها » . ومن احاديثه صلى الله عليه وسلم التى رفع بها قدر العلماء « العالم أمين الله في الارض » . « يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء » . « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » . وانما العلم بالتعليم « . وفي حديث عن ابي ذر الغفارى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حضور مجلس علم افضل من الف ركعة وعبادة الف مريض وشهود الف جنازة » قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن ، فقال عليه الصلاة والسلام : « هل ينفع القرآن الا بالعلم ؟ » .

ولقد قسم حجة الاسلام الامام الغزالي العلماء الى ثلاثة اقسام

(١٨١)

- اما عالم مهلك نفسه وغيره وهم المصرخون بطلب الدنيا والمقبلون عليها .
- واما عالم اسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق الى الله سبحانه وتعالى ظاهرا وباطنا .
- واما عالم مهلك نفسه ومسعد غيره وهو الذى يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصدها في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه . ثم قال : فانظر أى الأقسام انت ؟ .

وقد نوه القرآن الكريم بطلب الزيادة من العلم لان المعرفة ليس لها حد تنتهى اليه فان ما يجهره المرء اكثر مما يعرفه ، فالانبياء عليهم الصلاة والسلام مع ما لهم من علم وفير وادب جم كانوا يشدون الرجال الى طلب العلم بغية المزيد منه . قال تبارك وتعالى في سورة الكهف « قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشداً » فالآية الكريمة تبين ان سيدنا موسى عليه السلام عندما سمع ان هناك من هو اعلم منه طلب منه العلم بأدب واستعطاف سائلاً : هل اتبعك ... ؟ وحتى خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام امره الله بطلب الزيادة من العلم في قوله تعالى في سورة فاطر : « وقل رب زدنى علماً » على الرغم من سعة علمه . ويقول عز وجل في سورة يوسف : « وفوق كل ذى علم عليم » وفي سورة الاسراء : « وما أوتيتم من العلم الا قليلاً » . وفي سورة الروم : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون » أى ان العلم لا يكون كاملاً الا اذا كان صالحاً للدنيا والآخرة على أساس من الايمان باليوم الآخر .

ونبه الاسلام الى خطورة كتمان العلم فان الله سبحانه وتعالى سيسأل العالم عن علمه وماذا عمل به ، كما انذر الاسلام كاتمته بعذاب من جنس كتمانته ، فقال صلى الله عليه وسلم : « من علم علماً فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »

كما نبه ان خير المسلمين من تعلم القرآن وعلمه لان القرآن يجمع بين علوم الدين والدنيا ، قال تبارك وتعالى في سورة ص : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب » ومن يصعب عليه فهم بعض آياته فليسأل أهل العلم به « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » والله سبحانه وتعالى قال لرسله ان يسألوا عما يجهلونهم ففي سورة يونس « فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخيانة في العلم فقال : « تناصحوا في العلم فان خيانة في العلم اشد من خيانة في المال »

ويحث الاسلام المسلمين على طلب العلم وتلمسه في كل مكان وتلقيه من أية شفة وأي لسان بصرف النظر عن عقيدته « فبشر عباد الذين

يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو أحق بها » . فان الله يفضل العلم واهله بدون قيد ولا تخصيص فالمسلم مطالب بطلب العلم في الصين بمقاييس ذلك الزمان ومطالب بطلب المعرفة في أى فترة من فترات حياته ، « اطلب العلم من المهد الى اللحد » .

وهكذا نجد أن العقيدة الاسلامية لا تقف عقبة في سبيل الفكر فقد يكون المرء صحيح الاسلام وفي الوقت نفسه حر الفكر ولا تقتضى حرية الفكر أن يكون المرء منكراً لله فقد جاء الاسلام وانزل القرآن الكريم حاثاً على طلب العلم وطلب المعرفة وأمر بالتبصر في خلق الله تعالى وداعياً للوقوف امام المعجزات الكونية كالشمس والقمر والنجوم والارض وما يتعاقب على هذه الارض من ليل ونهار قال الله سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت : « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ، ان الله على كل شيء قدير » . وكان صلى الله عليه وسلم اكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل وكان هو الترجمة الواقعية للقران ومن ثم هو النموذج الحى للتربية الاسلامية والمفسر لناهجها سواء بأخلاقه الذاتية أو بتوجيهاته للناس ، سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق الرسول فقالت : « كان خلقه القران » .

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم جرى الناس وراء عقولهم واسترسلوا في التساؤل بعد أن كانوا في حياة الرسول يسلمون بما يجيء به الوحي من نصوص ويؤمنون به ايماناً قاطعاً ، (١٩) ومن ثم باتت الحاجة ماسة الى العلوم العقلية التى تقابل الحاجة الجديدة ، ففي عهد عمر كان علي بن ابي طالب يصرف جهده لتوجيه نشاط العنصر الناشئ الى الناحية العلمية فشرع مع ابن عمه عبد الله بن العباس في القاء محاضرات اسبوعية في المسجد الجامع في الفلسفة والمنطق والحديث والبلاغة والفقه (٢٠) . واخذ المسلمون يتحسسون نور العلم في ظلام تلك الفتن استرسالاً مع ما يدعوهم اليه دينهم وتنبههم لطلبه شريعتهم فأخذت مجالس العليم في البصرة والكوفة تتسع أروقته ويزداد المترددون عليها فتفرقوا في كافة العلوم التى تعتبر في

العصر الحديث علوما هامة . ومما يدل على نبوغهم وتفوقهم ان مؤلفاتهم مازالت توضع موضع الصدارة بين المراجع العلمية وتحتل ارفع مكانة في المكتبات العلمية في كل بلاد العالم .  
قال تعالى :

• أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده • .  
«وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله • .  
ولندع الله ان يجعلنا من اهل التقوى والمعرفة النافعة والعلم القويم .



## المراجع

- ١ - حسن عبدالعال - التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري - مأخوذ من كتاب مصطفى السباعي - اشتراكية الاسلام - دار مطابع الشعب - ١٩٦٢ .
- ٢ - نفس المرجع السابق .
- ٣ - عباس محمود العقاد « التفكير فريضة اسلامية » - دار القلم - الطبعة الاولى ص ٥ .
- ٤ - محمد ابوالقاسم محمد الحاج - مجلة العلم والايمان - السنة السادسة - العدد ٦٣ مارس ١٩٨١ تونس .
- ٥ - عبد الرزاق نوفل - المسلمون والعلم الحديث - دار الكتاب العربي - بيروت ص ٢٠ .
- ٦ - محمد عبد المنعم خفاجي - الاسلام والحضارة الانسانية - دار الكتاب اللبناني بيروت ص ١٣٢
- ٧ - غازي جرادة - انقلاب الغزالي - جريدة القيس الكويتية - ١٩٨١/٧/٩ م .
- ٨ - عبد الغنى عبود - في التربية الاسلامية - دار الفكر العربي - الطبعة الاولى - ١٩٧٧ .
- ٩ - موريسى بوكاى - التوراة والانجيل والقران والعلم - عرض وتعليق د . عزت جرادات مجلة العلم والايمان العدد ٦٣ - تونس .
- ١٠ - الشيخ محمد عبده - الاسلام دين العلم والمدنية - عرض وتعليق طاهر الطناحي دار الهلال - القاهرة - ص ٩٥ .
- ١١ - ادم عبدالله الالورى - تاريخ الدعوة والدعاة بين الامس واليوم - نقلا عن جريدة القيس الكويتية .
- ١٢ - الشيخ محمد الغزالي - اولو الابواب في كتاب الله - جريدة الشرق الاوسط اليومية - لندن - ١٦ يونيو ١٩٨١ م .
- ١٣ - يوسف القرضاوى - الدين في عصر العلم - هدية مجلة منار الاسلام ١٩٧٨ م .
- ١٤ - محيي الدين صابر - مجلة تعليم الجماهير - الجهاز العربي لمحو الامية - العدد الثاني السنة الثانية .

- ١٥ - الشيخ محمد الغزالي مرجع سابق .
- ١٦ - عبد الرزاق نوقل مرجع سابق .
- ١٧ - نفس المرجع السابق .
- ١٨ - خلف محمد الحسيني - البيان في منهاج الاسلام .
- ١٩ - محمد بيصار - العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع - الطبعة الثانية - مكتبة الأنجلوا المصرية ١٩٧٠ م .
- ٢٠ - عبد الغنى عبود - في التربية الاسلامية - مؤخوذ من كتاب على وعائشة ( عمر ابوالنصر ) دار احياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٤٧ ص ٦١ .

